

أردوغان فى القاهرة اليوم للبحث عن حليف .. وعاصفة شبابية مصرية تستقبله بحفاوة



الاثنين 12 سبتمبر 2011 12:09 م

تستقبل مصر اليوم بحفاوتها ودفئها المعهد رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوغان فى ظل ظروف بالغة الحساسية تعيشها منطقة الشرق الأوسط بشكل عام ومصر وتركيا أكبر دولتين فى المنطقة بشكل خاص .

يحل أردوغان على القاهرة المعز ضيفا فى وقت دشنت فيه مصر ثورة اعترف العالم بأنها الأكثر تحضرا بين ثورات التاريخ .. وفى وقت نجحت فيه تركيا بقيادة حزب العدالة والتنمية فى تحقيق اصلاحات تاريخية تنتظر اكتمالها بوضع دستور جديد للبلاد يعتبره الكثير من المراقبين السياسيين فى أنقرة بمثابة تدشين للجمهورية التركية الثانية

وفى هذا السياق حرصت الحكومة التركية بقيادة رجب طيب أردوغان على أن تستبق زيارته المقرر له مصر مساء اليوم الاثنين بدعوة مجموعة من الكتاب والصحفيين المصريين لزيارة تركيا والالتقاء بكبار مسئوليتها وفى مقدمتهم رئيس الجمهورية عبد الله جول للاحاطتهم بالتغييرات الجارية فى تركيا سواء على المستوى الداخلى أو على مستوى دوائر سياستها الخارجية وبخاصة الدائرة الشرق أوسطية

ويشير موفد وكالة أنباء الشرق الأوسط الى تركيا الى أن التغيير الذى لمسه فى هذه الدولة الفتية بين عامى 2003-2011 كان أكبر من طموحات قادة حزب العدالة والتنمية أنفسهم مع بداية وصولهم للحكم قبل ثمان سنوات .. هذا التغيير لم يكن فقط فى الحجر بل كان أكثر وضوحا فى البشر .

ويبري الموفد أن المدن التركية وبخاصة أنقرة واسطنبول والقرى والبلدات غسلت وجهها فى أقل من عقد واحد ، وتجمعت بازالة أحيائها العشوائية وفق خطة طموحة لاستبدالها بأحياء عصرية ، كما تنتشر المصانع فى البلدات والمدن التركية، فيما تزينت الشوارع لتضاهى شوارع دول أوروبا المتقدمة ، أما المحال التجارية فكانت

شاهدا بتضاعف عددها والازدحام فيها على مدى حيوية التجارة والاقتصاد التركى الذى أصبح الاقتصاد السادس عشر على مستوى العالم .. وسادس أكبر اقتصاد فى أوروبا ، وتستهدف بخطة طموحة الوصول لأن تكون ضمن الاقتصاديات العشر الأكبر فى العالم بحلول عام 2023 .

لم يكن مستغربا فى هذا الاطار أن نجد كافة المسئولين الذين التقينا بهم ممن يطلق عليهم فى أنقرة ذوى جذور اسلامية سواء فى الحكومة أو على رأس اداراتها المختلفة من المحليات وصولا الى الاذاعة والتلفزيون .. مشاهد لم تكن مألوفة قبل عام 2003 لكن ما كشفه لنا أرشاد هرمز أوغلو كبير مستشارى الرئيس التركى يوضح لنا بجلاء النهج الذى تم اتباعه فى تركيا تحت حكم حزب العدالة وسيئاريوهات المستقبل .

يقول هرمز أوغلو انه تم بذل جهود كبيرة لسنوات عديدة حاول خلالها " تغيير نمط التفكير لدى الشعب اولا " وكذا تعزيز الاقتصاد وفتح الباب امام الحريات العامة وفتح الباب للمستثمرين وانهاء التفرقة بين الاتراك والاجانب فى القوانين وفى مجال الاستثمار

وأردف أرشاد قائلا إن تركيا لم تدر وجهها من الغرب الى الشرق بل صححت فقط هذا المسار فهى لا تزال فى عضويتها الفاعلة بالعديد من المنظمات كالاتو ، منظمة التعاون الاقتصادي ، منظمة الأمن والتعاون الاقتصادي، ومنظمة التعاون للبحر الأسود والبلقان وتسعى للانضمام لعضوية الاتحاد الأوروبى لكنها وفى الوقت نفسه أصبحت مراقبا فى الجامعة العربية، وعضوا فاعلا فى المؤتمر الاسلامى ولديها تعاون استراتيجى مع مجلس التعاون الخليجى .. ولخص كبير مستشارى عبد الله جول هذه الفلسفة بقوله ان تركيا أصبحت دولة "تطير بأجنحة متعددة " وليس لحساب منطقة على حساب الأخرى .

كما لخص كبير مستشارى عبد الله جول فى الوقت نفسه علاقة حكومة بلاده ذات الجذور الاسلامية بالمؤسسة العسكرية ذات النفوذ

السياسى التاريخى فى تركيا، بقوله: " ان الجيش والحكومة ليسا طرفين بل أمة واحدة .. ونحن نفخر بالجيش فهو جزء من الدولة وليس دولة داخل الدولة" .. هذان هما طرفا المعادلة الداخلى والخارجى اللذين خاض بهما أردوغان مشروعه لاقامة تركيا القوية العصرية فى عصر العولمة والقطب الواحد والشرق الأوسط المتوتر .

هذا المشروع لم يكتمل بعد وينتظر تدشينه بدستور جديد بعدما نجح حزب العدالة والتنمية فى تمرير 38 تعديلا فى الدستور على مدى سنوات خاض خلالها معارك سياسية طاحنة مع كافة القوى وتغلب عليها مستندا فى ذلك الى ارادة شعبية والى دعم من القوى العظمى فى اطار توازنات أجاد أردوغان اللعب على أوتارها .. كان من أهم عناصرها تبرير اصلاحاته بتلبية معايير وضعها الاتحاد الأوروبى لضم تركيا لعضويته .. ومن أهم هذه المعايير تطوير الاقتصاد التركى وتقليص نفوذ المؤسسة العسكرية فى صنع القرار السياسى .

وكشف هرمز أوغلو النقيب للوفد المصرى عن أن تركيا بصدد اعداد دستور "مدنى" جديد للبلاد يتم بموجبه انتخاب رئيس الجمهورية شعبيا وليس من خلال تصويت أعضاء البرلمان وتكون ولايته لفترتين كل منهما خمس سنوات بدلا من سبع سنوات وكذا تقليص مدة عضوية البرلمان الى أربع سنوات ولمرتين متتاليتين فقط لا يجوز للنائب الترشح بعدهما لفترة ثالثة حسب الدستور الحالى .. وأشار الى أن هذا الدستور سيتم تدشينه عام 2014 .

وأضاف أن حكومة اردوغان تريد " دستورا مدنيا " يختلف عن الحالى الذى تم سنه تحت الانقلابات العسكرية كاشفا النقيب عن أنه ستكون هناك دعوة لكل الاحزاب والهيئات للمشاركة فى سن الدستور الجديد حتى الاحزاب غير الموجودة فى البرلمان بالاضافة الى المجتمع المدنى .. وسيكون هذا الدستور الجديد فى حاجة لاستفتاء شعبى لقراره .

وأضاف أن الدستور الحالى كانت به مواد تحد من حرية الافراد بسبب سنه فى فترة زيادة وتيرة العنف والارهاب وقتها .. لكن تركيا الان فى حاجة لدستور يضمن مبادئ حرية الراى والانسان ويحمى الفرد من سلطة الدولة .

وفيما تمضى تركيا أردوغان فى تأدية " الواجب الداخلى " الذى أخذته على عاتقها فانها تحلق بسياساتها الخارجية الفاعلة بين منطقة الى منطقة ومن دولة لأخرى بقدره هائلة على المناورة .. ويعرض مسئول رفيع المستوى بادارة التخطيط السياسى بالخارجية التركية ملامح هذه السياسة الخارجية لموفد الوكالة بتأكيديه أن أنقرة بدأت منذ سنوات خطة لعولمة سياستها الخارجية لأسباب عدة من أهمها ما أسموه وجود أخطار غير مرئية يرتبط معظمها بموقع تركيا الجغرافى المتميز ..

وأشار الى أن تركيا تحاول فى هذا السياق توجيه التطورات الجارية فى المنطقة الى منحنى ايجابى .. فالسياسة الخارجية على حد وصف منفذها " لم تتغير مقارنة بالماضى لكن أسلوب التنفيذ وآلياته هى التى تغيرت" وقال انه اذا كانت هناك سياسة خارجية جامدة ازاء التغيرات فلن تحقق السلام وبالتالي لابد للسياسة الخارجية لتركيا أن تستجيب للأحداث بفاعلية .

ويشير الدبلوماسى التركى رفيع المستوى الى أن وزير الخارجية أحمد داوود أوغلو مهندس سياسة تركيا الخارجية والمستشار الأسبق لرئيس الوزراء أردوغان رسم رؤية جديدة للسياسة الخارجية التركية أهم مبادئها " تصفير المشكلات " أو " زيرو أزمة " .. وأوضح أن تركيا تسعى دوما للعب دور مساعد لحل الازمات بحيث تتمتع بصداقة كل الدول وهو ما يتطلب بنية اقتصادية قوية لتمكين أنقرة من المساهمة فى حل هذه الأزمات .

وأقر المسئول التركى بأن تطورات حدثت وضعت تركيا بجدارة فى بؤرة الاحداث مضيئا أن أهم مبادئ السياسة الخارجية التى صاغها أوغلو بمباركة من أردوغان هى ازالة كافة المشاكل مع دول الجوار واقامة علاقات قوية معها .. وأوضح أنه رغم صعوبة تحقيق ذلك بشكل سريع الا أن تركيا لديها رؤية موضوعية لوضع نهاية المشكلات على المدى القصير أو البعيد حسب كل حالة ..

وأشار الى أن المحور الثانى هو التعامل مع الشرق الأوسط باعتباره منطقة تمتد من آسيا الوسطى حتى غرب البلقان بما يفرضه ذلك من التزامات وتحديات .. أما المحور الثالث فهو على الصعيد الدولى من خلال تعزيز القوة الاقتصادية لتركيا التى أصبحت مرئية بشكل اكبر للعالم .. ومن هنا بدأت تركيا تهتم باقامة علاقات قوية مع دول لم تكن تربطها بها علاقات ملموسة فى الماضى مثل افريقيا وأمريكا اللاتينية وفتح سفارات جديدة بها .

وأوضح المسئول التركى أن أنقرة ووفقا لهذه المنطلقات فى سياستها الخارجية تتابع باهتمام " الربيع العربى " وتدعم مطالب الشعوب لتحقيق الديمقراطية وهو خيار لا ردة عنه .. وتطالب تركيا بتكوين آلية تحقق مطالب الشعوب بشكل سريع واساسى .. وقال ان تركيا فى هذا الشأن ليس لديها مشكلة النموذج التى يتحدث عنها البعض فهى

تدرك أن لكل دولة فى المنطقة ظروفها وشروطها لكن أنقرة تدرك أيضا أن مصر بوجه خاص يمكن أن تكون مصدر الهام للتقدم فى المنطقة .

الأهمية الخاصة التى توليها أنقرة لمصر عكستها زيارة عبد الله جول لمصر كأول رئيس يزورها بعد ثورة يناير .. ويشير المتحدث الرسمى للخارجية التركية الى أن طيب أردوغان كان يخطط لزيارة مصر بعد الانتخابات العامة التى شهدتها تركيا مباشرة فى تحرك دبلوماسى غير معتاد من أنقرة .. حيث يحرص رئيس الحكومة على أن تكون أولى زيارته الخارجية بعد تشكيل حكومته، لقبصر التركية وأذربيجان .. لكن الزيارة تأجلت لظروف خارجة عن ارادته □

وأضاف أن شعب مصر قريب للغاية من تركيا وشعبها وسوف يحرص أردوغان على أن يترجم ذلك من خلال تدشين آلية المجلس الأعلى للحوار الاستراتيجى بين البلدين على مستوى رئيسى وزراء البلدين خلال زيارته لمصر .

هذه التصريحات أكدها الرئيس عبد الله جول مباشرة وبوضوح للوفد الصحفى المصرى الذى زار تركيا مؤخرا بقوله ان التطورات الجارية فى مصر والوصول لنظام ديمقراطى فيها بالغ الأهمية موضحا أن نجاح النظام الجديد فى مصر ليس مهما لمصر وحدها بل للمنطقة العربية

والاسلامية بأسرها] مؤكداً على دعم تركيا الكامل بكل ما أوتيت من قوة لهذا التغيير والتوجه الحضارى فى مصر وقال انه وفى الوقت الذى تعد فيه تركيا لسن دستور جديد فان مصر سيكون لها أيضا دستورها الجديد وبمعايير حرة لأول مرة بما يلائم تطلعات شعب مصر]

وحسم المسئولون الأتراك الذين التقيناهم فى أنقرة والذين يدركون مدى حساسية الشعب المصرى فى هذه المرحلة لأى محاولات خارجية للتدخل فى مصر الجديدة بعد الثورة هذا الجدل .. فقال أرشاد هرمز وأغلو كبير مستشارى الرئيس التركى ان " القرار المصرى يجب ان يتم طيحه حصريا فى المطبخ المصرى " .

هذه الملامح لتركيا أردوغان داخليا وخارجيا وان كانت مليئة بالنجاحات الا.. أن تحديات جسيمة لا تزال فى انتظارها قبل الجزم بتحقيقها لأهدافها ووصول نسر الأناضول الى غاياته بالغة الطموح .. فداخليا لا يزال السجال بين الجيش وحزب العدالة بقيادة أردوغان على القرار السياسى فى انتظار ساعة الحسم، وهى ساعة وضع دستور جديد للبلاد، وهل سيكون بمثابة تغيير فى هوية تركيا العلمانية، أم سيكون فقط ترشيحا لنهجها العلمانى ،ويوازن بينه وبين هويتها كدولة ذات شعب 99 فى المائة من سكانه مسلمون .

وعلى الصعيد الخارجى خرجت تركيا 2011 عمليا من مربع التحالف مع اسرائيل الى مربع الأزمة والتصعيد .. وابتعدت تركيا أردوغان صديقة نظام بشار الأسد لتضع نفسها فى موقع الجار الرافض لسياسات جاره والمحذر من تصرفاته والمدافع عن شعبه فى مواجهة جيشه .

أما أردوغان نفسه فقد عاش طفولة كفاح عرف خلالها كيف يكسب قوت يومه من عمله الشريف الذى تمارس خلاله على مواجهة المشاكل بجرأة تستند لقوته الجسمانية كرياضى وقائد لفريق كرة قدم .. يجيد توجيه زملائه .. اذا كانت هذه الشخصية الكاريزمية بتنوعها وثنائها وقدرتها على المناورة مكنته حتى الآن من اخضاع خصومه وتحجيد أعدائه واستقطاب أصدقاء، الا أن العديد من المراقبين السياسيين فى أنقرة يحذرون من أن يدفعه ذلك لأخطاء فى حساباته تحت وقع قرع طبول الدفاع عن العلمانية فى تركيا وتحت وطأة موجات شرق أوسط هادر ظلت مياهه راكدة لعقود تحت وطأة الديكتاتورية ..

ومن هنا فان أردوغان على ما يبدو بات يدرك أنه فى حاجة الى حليف شرق أوسطى قوى وكافة الشواهد التى لمسناها فى تركيا تؤكد أن أردوغان يمد يده لكتب التاريخ يقرأ بين سطورها اسم هذا الحليف .. ويبدو أن أردوغان سيكشف بين ثنايا خطابه للعالم العربى الثلاثاء من القاهرة اسم هذا الحليف .. لكن أحد المرافقين الأتراك للوفد المصرى استبق على ما يبدو هذا الاعلان عندما همس فى أذن بعض أعضاء الوفد الصحفى المصرى قائلاً. " مصر وتركيا يجب أن تكون علاقتهما مثل الولايات المتحدة وبريطانيا " .. ولم ينتظر مرافقنا طويلا وجاءه الرد سريعا .. " وأى منا ستكون بريطانيا ؟"